

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { واضرب } يا محمد للناس { مثل الحياة الدنيا } في زوالها وفنائها وانقضائها { كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض } أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنعرة ثم بعد هذا كله { أصبح هشيما } يابساً { تذرؤه الرياح } أي تفرقه وتطرجه ذات اليمين وذات الشمال { وكان الله على كل شيء مقتدرا } أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس { إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام } الآية وقال في الزمر : { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه } الآية وقال في سورة الحديد { اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته } الآية وفي الحديث الصحيح [الدنيا خضرة حلوة] وقوله { المال والبنون زينة الحياة الدنيا } كقوله : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب } الآية وقال تعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم } أي الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ولهذا قال : { والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً } .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي ؟ فقال : هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوءي هذا ثم قال : [من توضأ وضوءي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح : ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهي الحسنات يذهبن السيئات] قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال لا إله إلا الله وسبحان

اَ وَالْحَمْدُ ۝ وَ اَ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ تَفَرَّدَ بِهِ .

وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ عَمَارَةَ بْنِ عَبْدِ اَ بْنِ صَيَادٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ :
سُبْحَانَ اَ وَالْحَمْدُ ۝ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَ وَ اَ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ عَنْ
عَمَارَةَ قَالَ : سَأَلَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فَقُلْتُ : الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ فَقَالَ لَمْ
تَصِبْ فَقُلْتُ الزَّكَاةَ وَالْحَجَّ فَقَالَ : لَمْ تَصِبْ وَلَكِنَّهُنَّ الْكَلِمَاتُ الْخَمْسُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَ وَ اَ أَكْبَرُ
وَسُبْحَانَ اَ وَالْحَمْدُ ۝ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اَ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ
خَيْثَمٍ عَنْ نَافِعِ بْنِ سَرَجٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا
اَ وَ اَ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ مِثْلَ
ذَلِكَ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ : سُبْحَانَ اَ وَالْحَمْدُ ۝ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَ وَ اَ أَكْبَرُ وَقَالَ عَبْدُ
الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الْحَسَنِ وَقْتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : { وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ } قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا
اَ وَ اَ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ ۝ وَسُبْحَانَ اَ هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ
الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاحِ الْبَزَّازِ عَنْ أَبِي نَصْرِ التَّمَارِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ سَعِيدِ
الْمُقْبِرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : [قَالَ رَسُولُ اَ صَلَّى اَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سُبْحَانَ اَ
وَالْحَمْدُ ۝ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَ وَ اَ أَكْبَرُ هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ] قَالَ : وَحَدَّثَنِي يُونُسُ أَخْبَرَنَا ابْنُ
وَهْبٍ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ دَرَجَا أَبَا السَّمْحِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ
اَ صَلَّى اَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [اسْتَكَثَرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ
اَ قَالَ الْمَلَّةُ قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اَ ؟ قَالَ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالْحَمْدُ ۝ وَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ] وَهَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ دَرَجٍ بِهِ .

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ أَنَّ عَبْدَ اَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اَ حَدَّثَهُ قَالَ
: أَرْسَلَنِي سَالِمٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ فِي حَاجَةٍ فَقَالَ : قُلْ لَهُ الْقَنِيَّ عِنْدَ زَاوِيَةِ الْقَبْرِ فَإِنْ
لِيَ إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ : فَالْتَقِيَا فَسَلِمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ ثُمَّ قَالَ سَالِمٌ : مَا تَعْدُ الْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ ؟ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اَ وَ اَ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ
: مَتَى جَعَلْتَ فِيهَا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَ ؟ قَالَ : مَا زِلْتُ أَجْعَلُهَا قَالَ : فَرَاغَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ
ثَلَاثًا فَلَمْ يَنْزِعْ قَالَ : فَأَثْبِتْ ؟ قَالَ سَالِمٌ : أَجْلُ فَأَثْبِتْ فَإِنْ أَبَا أَيُّوبُ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ
رَسُولَ اَ صَلَّى اَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : [عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَأَرَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَقَالَ : يَا جَبْرِيلُ مِنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ ثُمَّ قَالَ : مَرَّ أَمْتُكَ فَلْتَكْثِرْ
مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنْ تَرَبَّيْتُهَا طَيِّبَةً وَأَرْضُهَا وَاسِعَةً فَقُلْتُ : وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ فَقَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاَ] .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ الْعَوَامِ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ آلِ النُّعْمَانِ

بن بشير قال : [خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ثم قال : أما إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده - وقال - بخ بخ لخمس من لقي الله مستيقنا بهن دخل الجنة : يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالحساب] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس هـ في سفر فنزل منزلاً فقال لغلामه : ائتنا بالشفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلاتحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلباً سليماً وأسألك لساناً صادقاً وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب] ثم رواه أيضاً النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمي الحسين عن يونس بن نفع الجدلي عن سعد بن جنادة هـ قال : كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف فخرجت من أهلي من السراة غدوة فأتيت منى عند العصر فتصاعدت في الجبل : ثم هبطت [فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني { قل هو الله أحد } و { إذا زلزلت } وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال : هن الباقيات الصالحات] وبهذا الإسناد [من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فإنها لا تبطل] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : { والباقيات الصالحات } قال : هي ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض وقال العوفي عن ابن عباس : هي الكلام الطيب وقال

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير C